من النتاج الجديد

دراسة في عقم الشعر العربي

بقلم عبد الجليل حسن

لاحظ الناقد الانجليزي الشهير رتشاردز في كتابه « مبادىء النقد الادبي » « أن موضوع الرداءة في الشعر لم يلق من الدراسة النظرية ما هو جدير به ، ويرجع ذلك الى حد ما الى صعوبة التفكير فيه » ، و « الرداءة » هذه كلمة عامة جدا ، وحتى يمكن أن نفهمها لنتجنبها ، نحتاج الى دراستها من مختلف الزوايا على الرغم من صعوبتها، وقد صدر أخيرا كتاب هام (1) يعالج ناحية من هذه النواحي ، هي ناحية العقم في الشعر العربي ، في شكل دراسة نظرية تطبيقية ، فنحن أحوج ما نكون الى دراسة « عصور العقم حتى نعرف علل الضعف وأسباب العقم، اذا أردنا لشعرنا العربي أن يكون خصبا ناميا » .

والقضية التي يثيرها الدكتور عبد العزيز الاهواني في مستهل كتابه هي : هل يخطيء الشاعر ؟ وهل يمكن أن نصف التعبير عن العواطف والاحاسيس بالخطأ ؟ ويجيب أنه بالرغم من أن الحقائق العلمية وشؤون الحياة العملية هي التي توصف بالخطأ والصواب الا أن الشاعر قد يخطيء بل ان شعراء عصر بكامله قد يخطئون وينحرفون في فهم الشعر ، مما يجعلنا نصف العصر كله بالعقم والانحراف ، كما هو الحال في عصور الادب العربي المتأخرة . وقد اختار الكاتب لدراسته شاعرا هو ابن سناء الملك وعصرا هو القرن السادس الهجري.

فأما الشاعر فهو قمة هذا العصر الشعرية ، وهو شاعر قد بذل جهدا جبارا ليصل الى الابتكار والابداع وتوليد المعاني ، فكان نموذجا للعقم ، لانه فهم الشعر على أنه جهد عقلي قائم على الحجج المنطقية والتوليد الذهني، فكان شعره منفصلا عن عصره بل وعن ذاته وشخصيته، بل هو شعر يمتح من دواوين الشعر القديمة ويحتدي قواعد البلاغة والبديع الميكانيكية ولا يصور واقعا حيا، وانما واقع التراث الذي تهرأ لانقطاعه عن التفاعل الحي مع الواقع المعاش . وأما العصر فهو العصر الايوبي، وهو عصر لا يمكن أن يقال عنه بحال أنه عصر عقيم بل يمكن أن يضارع – في رأي الكاتب – عصر الفتوحات الاسلامية من حيث الاهمية والقيم الحية التي عاشت في هذه المنطقة خلال العصر الوسيط ، فالخلاف الفعال كان قائما بين السنة والشيعة ، وكانت هناك المقاومة العنيفة للصليبيين وفرحة الانتصار عليهم ومغالبتهم وانتزاع ما سلبوه ، مما كان يستلزم تعبئة الطاقة البشرية ، وكان هناك نوع من الوحدة بين اقليمي مصر والشام ، كل هذه أحداث متصلة بالناس ، يعيشونها من غير شك (ص ١٠ ، ١١) .

فكيف أمكن للشعر أن ينحط ويضعف في عصر نهضة قائمة كهذه ؟ لا شك أننا لا يمكن أن نفسر ضعف الشعر وعقمه بأحداث العصر ، فهذا أن جاز في عصور التأخر والتدهور كما في العصر المملوكي أو العثماني فانه لا يجوز قط في مثل هذا العصر ، فكيف اذن أمكن أن يحدث هذا؟ وما سبب هذا الانحراف والعقم وعدم الصدق العاطفي والانطلاق الوجداني في التعبير عن أحداث العصر ؟

السر يكمن عند المؤلف في المشكلة اللغوية أو الازدواج اللغوي ثم في مفهوم الشعر لدى الشاعر وتصوره لمعنى الابتكار .

ويعني الكاتب بالازدواج اللغوي « اتساع مسافة الخلف اتساعا كبيرا بين لغة الحديث ولغة النظم بحيث توشك الاخيرة ، أي لغة النظم ، أن تصبح لغة أجنبية بالقياس الى الناظم والى أبناء مجتمعه » (ص ١٤)، وليس هو الازدواج العادي الشائع بين لغتي الحديث والكتابة والذي لا يتجاوز النطق الصوتي للكلمات والجمل من ناحية مخارج الحروف ... الخ ، وقد ظل الازدواج اللغوي في مصر وأجزاء من الوطن العربي قائما منذ القرن السادس حتى النهضة الحديثة حين أخذ التعليم ينتشر والمدارس تقام والكتب تطبع والمجلات والصحف توزع ثم وسائل الاعلام الاخرى .. مما جعل الفجوة بين لغة الحديث ولغة النظم تضيق سنة بعد سنة « وان الزمن الذي كان ضد ازدهار الشعر الغنائي بالامس صار معه وبجانبه في يومنا وغدنا » .

والفكرة العامة التي تسيطر على البحث هي مشكلة العقم والابتكار في الشعر العربي ، ولم يرد الكاتب أن يبحث موضوعه بحثا نظريا بل طبق دراسته على شاعر، لم يختره المؤلف فقط لانه قمة في العصر الايوبي، أو أنه أمير شعراء الصنعة في هذا العصر وأن القاضي الفاضل قد ولاه امارة الشعر في عصره ، وانما اختاره فيما يخيل الي لسبب آخر هو أنه كان موضع اهتمام من جانب المؤلف ، فالمؤلف من المتخصصين القلائل في دراسة الزجل والموشحات ، وابن سناء الملك أول من أذاع فن التوشيح في المشرق وألف فيه ، وكان يمكن للمؤلف أن يختار شاعرا اخر أو أشعارا لشعراء مختلفين ولا يتغير الوضع.

* * *

ولعل عنوان الكتاب قد أساء اليه ، ولم يدل على طرافة موضوعه مما لم يجعل كثيرين يلتفتون اليه، فالكتاب ليس دراسة لابن سناء الملك ، وانما هو دراسة للمشكلة اللغوية ومشكلة العقم والانحراف في فهم معنى الابتكار في الادب العربي في العصور المتأخرة ، وأشعار ابن سناء الملك ليست الا الامثلة التي طبق عليها الكاتب بحذق بالغ فكرته ، ولذا فلا ترى في الكتاب دراسة لحياة ابن سناء وبيئته ، بل رفض الكاتب مثل هذا المنهج ، وكما قلنا كان يصلح للتطبيق أية أشعار أخرى منتقاة تعتبر نماذج معبرة

(1) عبد العزيز الاهواني : ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ٢٢٢ صفحة من القطع الكبير.

لشعر هذا العصر ، ومن غير شك كانت بعض اشعار ابن سناء سترد ضمتها ، ولكن الكاتب الفاضل قصر نفسه على أشعار ابن سناء الملك، فمع أن عنوان الكتاب هو « ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر » فلا شيء عن ابن سناء غير أشعاره .

* * *

والقضية الهامة التي تكمن وراء هذا البحث ليست هي مجرد تقرير « عقم » الشعر العربي في القرن السادس الهجري ، وعزلة شعر الشعراء عن الحياة وجماهير الشعب وعن ذوات الشعراء أنفسهم ، اذ لا جديد في هذا ، فمن المعروف في كتب تاريخ الادب عامة أن شعراء هذا العصر وما تلاه قد غلبت عليه الصنعة اللفظية والمحسنات البديعية والتوليد العقلي أو الذهني ، تلك قضايا عامة تذكر في معظم كتب التاريخ الادبي ، ولكن المهم والجديد هو في تفسير هذه الظاهرة وردها الى المشكلة اللغوية ، واثبات ذلك في تفصيل واف ، والتدليل عليه بصورة فريدة تنم عن جهد وتحقيق ومقارنة ونفاذ النظرة في التراث العربي والالمام به، ووراء ذلك مفهوم حديث واع للشعر الغنائي ووظيفته في الحياة .

وقد وضع الكاتب فرضا يبدو صحيحا وهو أن العصور التي يوجد فيها الازدواج اللغوي لا تنجب الشعراء الغنائيين الكبار ، وكشف الكاتب في وضوح وطرافة عن خطورة المشكلة اللغوية أو الازدواج اللغوي وأثرها في عقم الشعر العربي ، وكذلك ضرر المفاهيم الخاطئة التي سيطرت على الشعراء حول معنى الابتكار والبلاغة مما أدى الى عقم هذا الشعر وابتعاده عن الصدق أو التعبير عن الذات. وقرر الكاتب أن اصطناع منهج الدراسة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتاريخية والبيئية والاهتمام بالسيرة الشخصية لفهم أمثال هؤلاء الشعراء مناهج غير صالحة أو غير مجدية لفهم هؤلاء الشعراء . « ذلك لأن هؤلاء الشعراء كادوا يفصلون فصلا تاما ما بين شعرهم وحياتهم العامة والخاصة ، لقد عاشوا في دواوين الشعر العربي القديم أكثر مما عاشوا في بيئتهم المعاصرة» (ص٤).

* * *

ولكن ترى هل يمكن أن يكتفي الباحث بمثل هذا المنهج الذي يغفل دراسة العصر ، و « يركز العناية حول الاساليب التعبيرية وصلة هذه الاساليب بالسابقين من الشعراء » ، ويرد السبب في تأخر الشعر وعقمه في العصور المتأخرة الى المشكلة اللغوية وحدها ؟

يبدو لنا أنه بالرغم من أهمية المشكلة اللغوية وخطورتها وطرافة الكشف عن تأثيرها في عقم الشعر وضعفه ، الا أن الكاتب لم يفسر المشكلة حقيقة ، لان هذا الوضع نتيجة وضع آخر عام ، فالمشكلة اللغوية ليست سببا ولكنها عرض لاتجاه الحضارة العربية ، وتطور لوضع قديم ، ولا يمكن فصلها عن العصر او بالاحرى عن اتجاه تطور الادب والشعر العربي بوجه عام حتى بلوغه مرحلة العقم في القرون المتأخرة ، باعتبار أن الادب يعكس الاوضاع الاجتماعية بمعناها الواسع .

فالشاعر العربي عادة نتيجة للتقاليد القبلية الصارمة وللمواضعات الاجتماعية وللروح الجماعية التي تسود داخل القبيلة ، كان اهتمامه لا يتجه الى ذاته بقدر اهتمامه بالوصف الخارجي ، ولذا فأن تصوير العاطفة والانفعالات أو عكس هذه الانفعالات في صورة مفصلة شيء نفتقده غالبا في الشعر العربي ، وهذا الموقف مرتبط بقضية الحرية الفردية لدى البدوي، وهي قضية معقدة لان حريته محدودة في أطار القبيلة ثم أصبحت عند تحضره وانتقال الحضارة الى التحضر محدودة بعنصر التقاليد الجامدة المحددة وتدور في نطاقها ، ومرتبط كذلك بوضع المرأة والمحرمات العديدة بالنسبة الى الجنس ، مما جعل الشاعر العربي لا يصف امرأة بعينها عادة بل المرأة التي يصفها هي المرأة المثالية ، المرأة النموذج ، والعلاقة معها ليست علاقة شخصية ... هذا في الوقت الذي كانت اللغة فيه مرتبطة ومتصلة بالحياة ، وبعد ذلك توالت العصور الادبية تقلد هذه النماذج وتحاكيها ، وكانت الثورات عليها محدودة ، فالشعر العربي في أوله بوجه عام كان ضعيف الارتباط بالحياة الفردية الشخصية الملموسة المحسوسة ، ولكنه مع هذا كان يصدر عن الحياة ويعكس على نحو ما صورة الحياة العربية الاولى ، ولم تكن هناك مشكلة الازدواج اللغوي التي تحدث عنها المؤلف .. واستمر الشعراء بعد ذلك ، نظرا لفكرة قداسة التراث والارتباط الشديد به ، يصدرون في شعرهم عن التراث والتقاليد الادبية التي استنبط أسسها البلاغيون واللغويون والنحاة من دراستهم للتراث أيضا .

وقد تفاقمت المشكلة حين لم يعد هذا التراث متفاعلا مع الحياة الواقعية العريضة الخصبة ، ولكنه يتفاعل فقط مع حياة بيئة محدودة ، هي بيئة اللغويين والفقهاء والمدرسين وكتاب الدواوين ... والادهى من هذا أنه لم يتفاعل مع الحياة المعاشة لهذه البيئة ، وانما مع مفاهيمها المجردة عن البراعة والابتكار الذي ينحصر في اللفظ الرائق والتورية اللطيفة والمعنى المبتكر ، وهو المعنى الذهني العقلي حتى يمكن ان يفهمه اللغويون والبلاغيون ، وهم المهيمنون على النقد .

وقد عبر كاتب المقال عن ذلك في بحث له عن التجربة في الادب (٢) « ان الوصف في الادب العربي غالبا وصف

(٢) مجلة الشهر ، عدد سبتمبر ١٩٥٨ .

صدر حديثا :

داهية العرب

ابو جعفر المنصور

مؤسس الدولة العباسية

تأليف

الدكتور عبد الجبار الجومرد

دار الطليعة ـ بيروت ص. ب ١٨١٣

من السطح فقط ، والصور منتزعة من تركيبات عقلية مجردة تعتمد على المقارنة والربط الخارجي بين الصور المرئية.. ولعل مرد هذا الى الطابع العام لحضارتنا قديما. وخاصة في عصورها المتأخرة ، حيث لم يقصد من التعبير الادبي أن يعبر عن تجارب ذاتية ، ولم يكن يسمح للفرد أن ينفصل عن التقاليد ، والنظام السائد ، لكي يعيش مع ذاته يتأملها ، بل كان المطلوب منه أن يردد ما هو سائد في الخارج ، ولذا كان التعبير الشعري تلاعبا على سطح الفاظ لغة القاموس فقط دون معايشة لها ... فقد كان المجتمع بوجه عام ، يعيش على سطح تراثه في مختلف نواحي نشاطه » .

ومما يوضح المسألة اكثر أن نسأل لمن يكتب الشاعر؟ ومن هي الجماعة التي كان يحاول ابن سناء الملك أن يحظى بتقديرها ويؤثر فيها بشعره ؟

انها جماعة اللغويين والبلاغيين ، والشعراء المقلدين، شعراء النماذج التي تحاكي وليس شعراء الحياة .

ولما كانت اللغة منفصلة عن الحياة ـ وتلك هي مشكلة الازدواج اللغوي التي تحدث عنها الكاتب ـ فان الكلمات والالفاظ تفقد حيويتها وتصبح عملة صدئة وتغيب منها الشحنات العاطفية التي تستمدها من الحياة وتستبدلها بشحنات متخيلة مستجلبة من التراث ، وتقتصر على حيوية القواميس والمعاجم ودواوين الشعر القديمة، وتلك حيوية خامدة هامدة ، وبذلك تصبح المواقف الشعرية مواقف تقليدية ، منبعثة من مخزون التراث وتكون الاستجابة لها ليست استجابة عاطفية لانفصالها عن الحياة بل استجابة ادراكية متعلمة .

وبالتالي فان الاهتمام الشديد باللغة في مرحلة الازدواج اللغوي لا يؤدي الى الاهتمام بالشعر ولكن بصنعة الشعر ، بالبراعة في النكتة القائمة على التلاعب بالالفاظ والمهارة في ذلك ، ومن هنا كانت هذه الالوان العديدة من الجناس والتورية وغير ذلك .

ويحتاج الأمر كذلك الى الدراسة النفسية التي توضح صلة المحسنات كالتورية بفقدان الحرية الذاتية ، وأنها دليل على التعبير الملتوي عن الذات .

فليست المشكلة مشكلة لغوية فقط بل هي مشكلة طابع حضاري عام ، ويمكن ربطها بمظاهر اخرى متنوعة في الفن العربي والزخرفة العربية ونقص العنصر الدرامي ... مما يساعد على تفسير كل تلك المظاهر التي درسها الكاتب ودلل عليها في نطاق المشكلة اللغوية وحدها.

* * *

والكتاب عبارة عن مقدمة وثلاثة فصول ـ فصل عن المشكلة اللغوية والعقم ، وفصل عن الابتكار ووسائله ، وثالث عن ابن سناء الملك والموشحات .

وقد أجمل الكاتب افكاره الرئيسية ، وجملة النتائج الهامة التي وصل اليها خلال بحثه في المقدمة .

وتناول في الفصل الاول التعريف بالازدواج اللغوي الذي قولب المشكلة اللغوية والعامل الرئيسي فيما أصاب الشعر من ضعف ، ثم تناول اللغة والشعر الغنائي، وتعرض الكاتب لوظيفة اللغة في الشعر الغنائي ، وقد أدى به ذلك الى أن يذكر رأي جان بول سارتر ، وتفرقته بين «استخدام» الكاتب للغة باعتبارها أداة ، و « خدمة » الشاعر لالفاظ اللغة باعتبارها غاية في ذاتها ، وعرض الكاتب رأي سارتر ليدفع شبهة قد تتوهم لان هؤلاء الشعراء في العصور المتأخرة « وقفوا طويلا عند الكلمة اللغوية » فهل معنى ذلك أنهم بلغوا الغاية من الشاعرية ؟!

ومن نتائج المشكلة اللغوية انقطاع صلة الشاعر بالجمهور الكبير لانه لا يعرف لغة الكتابة ، واقتصار ذلك على جمهور صغير محدود ، مما أدى الى عدم اشتراك الشاعر في تعبئة مشاعر الجماهير في عصر كعصر الحروب الصليبية ، بل وحتى في عدم مقدرته على اسماع صوته لحبيبته لأنها لا تفهم ما يقول ، ولذا لم يعد الغزل في حاجة الى الصدق بعكس موقف الشعراء الغزليين في الحجاز مثلا في العصر الاموي حيث كان جمهورهم عريضا، وكانت النساء يمكن أن يقرأن شعرهم ويفهمنه .

وتناول موقف الشاعر من التراث وتقديسه له، ورفض أن يفسر العقم في الشعر الايوبي بالسبب الديني، « الذي ترتد اليه كثير من مظاهر المحافظة في المجتمع الاسلامي » ، ولكن رد ذلك الى المشكلة اللغوية باعتبارها هي السبب المباشر المتصل بالموضوع (ص ٢٩) ، ثم أخذ يتبين موقف ابن سناء من التراث من خلال كتابه فصوص الفصول .

وأوضح مظاهر « الركاكة » في شعر ابن سناء، باعتبارها مظهرا من مظاهر الازدواج اللغوي ، وعرض نماذج من هذه الركاكة في شعر ابن سناء ، وتتبع أخطاء الشاعر اللغوية والنحوية .

وذكرنا الكاتب بمثالين آخرين في غير اللغة العربية لمشكلة الازدواج اللغوي وآثارها الماثلة في عقم الشعر ، وهذان المثالان الواضحان عرفتهما اللغة اليونانية في عصر الاسكندرية واللغة اللاتينية خلال العصور الوسطى في غرب أوروبا ، حين امتد بهما العمر ، وانتقلتا من مهدهما

يقول ميشال عفلق في بعض كتبه : ان القدر قد اختار حزب البعث لقيادة الامة العربية ، وان على البعثيين ان يحكموا ويتصرفوا بموجب هذا التفويض..

طالع مناقشة فيلسوف القومية العربية

ساطع الحصري

لهذا الاتجاه الفكري عند حزب البعث في

كتاب الساعة

الاقليمية

جذورها وبذورها

دار العلم للملايين

الاول ، وقد عانتا نفس الاثار من العقم والجدب والمحاكاة والتكلف اللفظي في مجال الشعر الغنائي . ثم ناقش الكاتب موضع الشعر من العاطفة أو الوجدان والتفنن العقلي والكد الذهني ، وأوضح أن ابن سناء انحرف بالشعر فجعله حجاجا عقليا ، ومن الطريف أن الكاتب لكي يبرهن على دعواه في ضعف شعر ابن سناء لاعتماده على كد الذهن والعقل استخدم الدليل العقلي والمحاسبة الذهنية في محاكمة شعر ابن سناء .

ثم تعرض الكاتب في نهاية الفصل الاول الى مفهوم الشعر بين اليوم والامس ، وتحديد مفهوم الشعر هام لانه « لو استقام لاولئك الشعراء لخفف كثيرا من آثار المشكلة اللغوية ، فركنا العقم فيما نرى هما : المشكلة اللغوية والخطأ في مفهوم الشعر » (ص ٥٩) ، ولكي يوضح مفهوم الشعر راح يعرض رأي المؤرخ الفيلسوف الانجليزي كولنجوود في مفهوم الفن (ص ٥٩ ــ ٧٦) ، ونقض النظرية القائلة ان الفن أو الشعر « صناعة » ، وأورد ملامح هذه النظرية لدى قدامة وأبي هلال العسكري ، ثم نقد المؤلف آراء كولنجوود وناقشها وأوضح انها لا توضح لنا السر في انحراف الشعر وضعفه .

* * *

ويتناول الكاتب في الفصل الثاني «الابتكار ووسائله»، ويرد السبب في العقم الشعري الى الفكرة الخاطئة التي سيطرت على الشعراء حول معنى الاختراع والابتكار الذي استنفد جهدهم جريا وراء المعاني التي لم يسبقوا لها ، مع انحراف في فهم الشعر ، وسطحية في الاحساس، وولع بالغرابة والتفرد ، وتغليب للعقل على العاطفة، ويعرض لمفهوم ابن سناء الملك عن الشعر من كتابه « فصوص الفصول » (وهو مخطوط) ، وفهمه له على أنه اتيان الشاعر بالمعاني الجديدة التي لم يطرقها الشعراء ، ويحدد السمات البارزة في صنعة ابن سناء الشعرية ، وهي المفارقة ، وحسن التعليل ، والمبالغة ، والطباق ، والارتباط بالتراث السابق ، والجناس . ثم يتناول بالتحليل هذه السمات ، ويقف طويلا عند حسن التعليل ، ليناقش ابن سناء ، ويكشف عن أن الصور الملفقة التي ظن ابن سناء أنها ابتكار ، انما هي من وحي التداعي اللغوي للالفاظ .

ولا أدري كيف استطعت أن أتأكد من رأي سبق أو كونته عن شاعر وكاتب عربي معاصر هو مصطفى صادق الرافعي ، وهو أن مجمل ابتكاراته وأفانينه ومحاولته التعمق ، انما هي من وحي التداعي اللغوي للالفاظ ... وكم أحببت لو أن بحثا مماثلا يكشف عن أسلوب مصطفى صادق الرافعي وارتباطه الى حد بعيد « بالمشكلة اللغوية » في صورتها الحديثة . ان تحليل المؤلف للمشكلة اللغوية وصداها عند ابن سناء جعلني أتأكد من هذا الرأي .

وتتجلى في هذا الفصل طرافة الكاتب من خلال نظراته النقدية حول البلاغة العربية التي تحتاج منه الى أن يخصها ببحث مستقل ، فالقارىء يحس أن وراء ذلك بحثا عن النظرية البلاغية أو النقدية الكامنة خلف الشعر العربي وآراء نقاده مثل عبد القاهر الجرجاني وابن طباطبا التي تجعل مادة الشاعر تقتصر على الخلط بين معاني القدماء بحيث يخرج شيء جديد ، فمادة الشاعر هي نفس المادة القديمة ، ولكن الجديد هو في الوصفة أو في التأليفة.

وحاول الكاتب أن يدرس الشعر نفسه في ضوء فهم القدماء « لمهمة الشاعر ورسالته في الحياة ، وصلة شعره بنفسه » (ص ١١٦) ، ثم يعرض لرأي صاحب المثل السائر في الابتكار وتعيينه لوسائل ابتكار المعاني واختراعها ، فعند ابن الاثير « أن المعاني المخترعة تستخرج من كتاب الله والاحاديث » . كيف ؟ « ترد الاية من كتاب الله أو الحديث النبوي ، والمراد بهما معنى من المعاني، فآخذ أنا ذلك ، وانقله الى معنى اخر فيصير مخترعا لي » ومثل هذه النصوص هامة وتحتاج الى مزيد من التحليل والعناية ، وقد فقه المؤلف هذه الدلالات ، مما يدل على دراية كبيرة بالتراث العربي ، وطول تفكر وذهن متفتح الى وظيفة الشعر في العصر الحديث ، وطلب للعدالة والاعتدال والاتزان في محاكمة هؤلاء الشعراء ومساءلتهم، والكاتب على دراية كبيرة بالحيل اللفظية والوشي البديعي، ويرد كل ذلك الى التفكير العقلي. وفي دراسة المؤلف لموضوع الابتكار نظرات كلية صادقة ترد البلاغة العربية الى العناية باللفظ والاهتمام بالجزئيات والاقتصار على التعرف الى خصائص الشعر العربي وحده ، ومحاولة اكتشاف أسراره ، « فكأن هؤلاء البلاغيين كانوا مسجلين ومقننين أكثر منهم مشرعين ومفلسفين » (ص ١٠٠) وهذا واضح عند دراسته للتشبيهات في الشعر العربي ، وأنها تشبيهات تهتم فقط بالمظهر المادي الخارجي للاشياء الحسية (ص ١٢٨) ، والكاتب يعتبر التشبيه مظهرا من مظاهر البدائية في التفكير والسذاجة الاولية في التعبير، ويأخذ على التشبيه في الشعر العربي فقدان الشعور النفسي أو الموقف الوجداني العاطفي من جانب الشاعر.. وكشف الكاتب في كتابه عن « براعة فائقة » في رد تشبيهات ابن سناء الى أصولها التي ولدها منها في تراث السابقين.

وقد فاق ابن سناء غيره من الشعراء في التشبيه الغريب والمعنى الجديد مما يجعل قراءة شعره تحتاج الى كد الذهن في بعض الاحيان ، ولم يعترف الكاتب لابن سناء بالتجربة الصادقة في شعره الا في ثلاث قصائد في ديوانه .

يصدر قريبا :

الحركة العربية الواحدة

بقلم عبد الله الريماوي

اول كتاب في موضوعه يعالج
مسألة الحركة العربية الواحدة
بمنطق عقائدي قومي ثوري

ثم تناول الحكمة في شعره ، وانها قليلة ، ويرجع ذلك الى عدم تعمقه في تأمل الحياة والتدبر في الاحياء.

* * *

ولعل من الطريف تلك القضية التي اثارها الكاتب عند حديثه عن « المبالغة بين التكلف والصدق » فقدعرض لاشكال من المبالغة لدى ابن سناء الملك من مثل هذه الصورة : ـ

بأبي وأمي من حلمت بذكرها
لما انتبهت ومذ رقدت تفسرا

« فالشاعر قد جعل الحلم في التنبه ، وجعل الحقيقة أو تفسير الحلم في النوم ، فأوهم اختلاط الوهم بالحقيقة في نفسه بين اليقظة والنوم » (ص ١٥٤)، وقرر أن مثل هذه الصور قد تلتبس على البعض فيظن لدى ابن سناء الملك اتجاها «سرياليا» او شبها برأصحاب نظريةالعقل الباطن في مجال الشعر والفن ، وراح يبين أن هذا الشعر لا يحتمل أن ينظر اليه على « أنه تجارب نفسية في حالات تشبه الاحلام والغيبوبة مرت بالشاعر فعلا » (ص ١٥٧).

وانتهى الكاتب الى أننا « أمام عبث بالمعاني وتلاعب بالالفاظ لا يحمل وراءه ثروة نفسية ، ولا حالة نادرة من الحالات التي تعتري الموهوبين المرهفي الحس من الشعراء والفنانين » (ص ١٧٤) .

وما كان الكاتب بحاجة قط الى الوقوف عند هذه المسألة تلك الوقفة الطويلة التي وقفها (ص ١٥٢ ـ ١٧٥)، ولم يكن بحاجة أكثر الى أن ينقل نصا طويلا كاملا من كتاب موريس نادو « تاريخ السيريالية » (١٥٩ ـ ١٦٤)، استغرق من صفحات كتابه ما يزيد على ٢ في المائة .

* * *

وفي الفصل الاخير « ابن سناء الملك والموشحات » ، تناول الكاتب محاولة ابن سناء تقليد الاندلسيين في فن الموشحات ، والف فيه كتابا سماه «دار الطراز» ، شرح فيه فن الموشحات ونقل نماذج منها ، ثم قلدها ، واضاف اليها وابتكر فيها ، وهنا أخذ المؤلف يبين أن ما ظنه ابتكارا في هذا الميدان هو انحراف اخر يضاف الى انحراف فهمه للشعر ، فالابتكار عنده هو في بذل الجهد العقلي وبذلك تحولت الموشحات « الى صنعة لفظية معقدة ، وضربا من الحيلة والتكلف ، تشغل النفس عن استقبال الاحساس العاطفي المسترسل الى مراقبة أعاجيب القوافي وتأليف الجمل ».

والمؤلف حجة في الادب الاندلسي وفي الموشحات بخاصة ، ولذا كانت دراسته لموشحات ابن سناء المصري على جانب من الطرافة ، ولكننا لم نستسغ المقارنة بين ابن سناء الملك وموشحات ابن العربي امام الصوفية وصاحب الفتوحات المكية ... فابن العربي اندلسي الاصل وابن سناء مصري . وكان الاجدر بالمؤلف الا يغفل ذكر القطب الصوفي الاخر وهو ابن الفارض معاصر ابن سناء ومواطنه، والمؤلف قد تحدث عن « أغاني الصوفية » ، ولم يرد ذكر لابن الفارض خلال كتابه .

* * *

واخيرا فان هذا الكتاب ، رغم أسلوبه الهادىء ودقة المؤلف الحذرة ، يحمل بذور ثورة عارمة في دراسة الشعر العربي .

القاهرة — **عبد الجليل حسن**

قريبا :

الحركة العربية الواحدة

بقلم
عبد الله الريماوي

تحليل علمي ثوري للواقع العربي والمعركة العربية بمنطق وحدة الهدف العربي يبين المتناقضات والمصالح والقوى المتصارعة في المعركة العربية في مرحلة التحول الثوري العربي .

● يفضح الوجوه والواجهات الجديدة للتحالف الاستعماري الصهيوني الرجعي واحتكارات البترول .

● يشرح الواقع الحزبي في الوطن العربي على صعيد العقيدة والنضال والتنظيم في ضوء النشوء والتكوين والمواقف والمسالك وبالنسبة للقضية والمعركة ومهماتها.

● يؤكد ان الحركة العربية الواحدة هي الصيغة الايجابية الثورية الوحيدة لوحدة النضال الجماهيري العربي وانتصار الثورة العربية وانها التجسيد العقائدي العلمي الصادق لوحدة الامة العربية وقوميتها

لوحدة الثورة العربية وهدفها

لوحدة العقيدة العربية ومنطقها

هي ميلاد ـ بالثورة ـ جديد ، وليست تجميعا بالالتقاء للقديم القائم .

هي تخطط تطلبه وتحدد معالمه الثورة والعقيدة والتجربة والجماهير :

للاحزاب والحركات والمنظمات القائمة في وجودها ومقوماتها وفي تعددها وفي منطقها النابع من ذلك الوجود والتعدد .